

الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية

وأثرها في التفاعل الحضاري

(التعامل مع الآخر أنموذجاً)

إعداد

دكتور / أبو القاسم محمد أبو شامة

مدرس الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة سوهاج

ملخص البحث:

يُعَدُّ فهم نصوص السنة النبوية في ضوء الوسطية الإسلامية من الأمور التي تسهم في تقبل الآخر غير المسلم، وهذا بدوره يؤدي إلى التعاون والتكاتف من أجل بناء الحضارة الإنسانية، فالإسلام يدعو إلى الاندماج والتعايش السلمي بلا ذوبان، كما يدعو إلى إظهار العزة بلا استعلاء في ظل قيم المواطنة والتسامح.

ويهدف هذا البحث الذي جاء بعنوان: "الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية"، وأثرها في التفاعل الحضاري (التعامل مع الآخر أنموذجاً)، إلى توجيه أنظار العالم إلى وسطية الإسلام في التعامل مع الآخر، والرد على كل من يتهم الإسلام بإنكار الآخر، وإبراز قدرة الإسلام والمسلمين في التعاون مع الآخر في بناء الحضارة الإنسانية، وقد اعتمدت على كل من المنهج التاريخي والتحليلي في تناول هذا الموضوع.

وجاء البحث في تمهيد ومبحثين، وخاتمة، التمهيد: ضمنته التعريف بمصطلحات الدراسة، وهي الوسطية، والحضارة، والآخر، ثم عرضت في المبحث الأول بعض نصوص السنة النبوية المشكّلة في تعامل المسلمين مع الآخر في محاولة لفهم هذه النصوص في ضوء وسطية الإسلام العظيم، ومنها حديث: "لا تبدعوا اليهود ولا النصارى بالسلام"، ثم ذكرت في المبحث الثاني صور من التفاعل الحضاري مع الآخر، وإسهامات غير المسلمين في الحضارة العربية والإسلامية، وكذلك إسهامات

المسلمين في الحضارة الإنسانية، أمّا الخاتمة فقد ضمنتها أهم نتائج البحث التي تمّ التوصل إليها، ثم ثبت المصادر والمراجع.

الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية، وأثرها في التفاعل الحضاري

(التعامل مع الآخر أنموذجاً)

د. أبو القاسم محمد أبوشامة (*)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الإسلام، محمد-صلى الله عليه وسلم- الرحمة المهداة للعالمين، أما بعد..

فإن الإنسان هو العنصر الأساسي في كل تقدم مدني وحضاري، ولما كان القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، يمثلان القوة الدافعة للحركة الحضارية في الإسلام، فإن فهم نصوص السنة النبوية في ضوء الوسطية الإسلامية يسهم في تقبل الآخر غير المسلم، وهذا بدوره يؤدي إلى التعاون والتكاتف من أجل بناء الحضارة الإنسانية، ولا شك أن "التميز الحضاري، والإمكان الحضاري في الوقت نفسه، إنما يتحققان بحفظ الله لاستمرار قيم الوحي سليمة، والتي كلما تفاعل معها بشكل صحيح، أثمرت الحضارة"^(١)، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال الوسطية، فالإسلام يدعو إلى الاندماج والتعايش السلمي بلا ذوبان، كما يدعو إلى إظهار العزة بلا استعلاء في ظل قيم المواطنة والتسامح.

وتبرز أهمية هذا البحث الذي جاء بعنوان: "الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية وأثرها في التفاعل الحضاري (التعامل مع الآخر أنموذجاً)" في التعريف بالمصطلحات الواردة في هذا البحث وهي (الوسطية، والحضارة، والآخر)، ثم عرض نصوص مشكّلة من السنة النبوية في محاولة لفهمها في ضوء الوسطية، وبيان أثر هذا الفهم في التفاعل الحضاري بين المسلمين والآخر غير المسلم سواء أكان المسلمون أقلية، أم أغلبية.

(*) مدرس بقسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب- جامعة سوهاج- جمهورية مصر العربية.

(١) روح الحضارة الإسلامية للطاهر ابن عاشور: ص٥٠.

أهداف البحث:

قد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أهداف منها:

- ١- توجيه أنظار العالم إلى وسطية الإسلام في التعامل مع الآخر من خلال نصوص السُّنة النَّبَوِيَّة.
- ٢- إبراز الجوانب المشرقة في الحضارة الإسلامية، كالتسامح والمواطنة.
- ٣- الرد على كل من يتهم الإسلام والمسلمين بإنكار الآخر.
- ٤- إبراز قدرة الإسلام والمسلمين في التعاون مع الآخر في بناء الحضارة الإنسانية.
- ٥- شحذ همم المسلمين للإسهام في بناء الحضارة الإنسانية.

منهج البحث:

لقد اعتمدت في بحثي على كل من المنهج التاريخي والتحليلي، ويتمثل فيما يأتي:

- ١- حللت بعض نصوص السُّنة النَّبَوِيَّة المُشكَّلة في ضوئ مقاصدها وملابستها في محاولة لفهمها في ضوئ وسطية الإسلام.
- ٢- بيّنت إسهامات المسلمين وفضلهم على الحضارة الإنسانية.
- ٣- بيّنت إسهامات غير المسلمين في بناء الحضارة العربية والإسلامية في ظل الحكم الإسلامي.

خطة البحث:

جاء البحث في تمهيد ومبحثين، وخاتمة، وهي كالآتي:

تمهيد: ضمّنته التعريف بمصطلحات الدراسة، وهي الوسطية، والحضارة، والآخر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية: عرضت فيه بعض نصوص السنة النبوية المشكّلة في تعامل المسلمين مع الآخر في محاولة لفهم هذه النصوص في ضوء وسطية الإسلام العظيم، وقد جاء في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية في فهم حديث: "من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله".

المطلب الثاني: الوسطية في فهم حديث: "لا تبتدعوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق، فاضطروهم إلى أضيقة".

المطلب الثالث: الوسطية في فهم حديث: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي".

المطلب الرابع: الوسطية في فهم حديث: "لا ربا بين المسلم والحربي".

المبحث الثاني: صور من التفاعل الحضاري مع الآخر: بيّنت فيه أهمية التفاعل الحضاري بين المسلمين وغيرهم وصوره، وجاء في مطلبين:

المطلب الأول: إسهامات غير المسلمين في الحضارة العربية والإسلامية.

المطلب الثاني: إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية.

أما الخاتمة فقد ضمنيتها أهم نتائج البحث التي تم التوصل إليها، ثم ثبتت المصادر والمراجع.

تمهيد: مصطلحات الدراسة

سنتعرف إلى المصطلحات الأساسية في هذه الدراسة كمدخل لهذا الموضوع، وهذه المصطلحات هي: (الوسطية- الحضارة - الآخر)؛ لبيان مفهومها في اللغة والاصطلاح، وذلك فيما يأتي:

١- مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح:

الوسطية في اللغة: من الوسط بفتح السين: وهو اسم لما بين طرفي الشيء، أمّا الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم، تقول: جلست وسط القوم، أي: بينهم، والوسط من كل شيء أعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١)، أي عدلاً، وشيء وسط أيضاً بين الجيد والرديء، وواسطة القلادة الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها (٢).

أما الوسطية في الاصطلاح: فقد ذكر الدكتور يوسف القرضاوي أن الوسطية من أبرز خصائص الإسلام، وعبر عنها أيضاً بـ"التوازن" وقد عرفها بقوله: "ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين، أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه" (٣).

ويرى الدكتور محمد عمارة أن "الوسطية، بالنسبة للمنهج الإسلامي وحضارته، هي "عدسته اللامعة" لأشعة ضوئه، وزاوية رؤيته كمنهج، وزاوية الرؤية به أيضاً" (٤).

(١) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة [وسط]: ٦/٤٨٣١-٤٨٣٢، ومختار الصحاح للرازي: ص ٣٠٠، والمصباح المنير للفيومي: ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) الخصائص العامة للإسلام: ص ١١٥.

(٤) معالم المنهج الإسلامي: ص ٧٧.

وَيُلْمِخُ صَاحِبُ الظَّلَالِ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١) إِلَى وَسْطِيَةِ الْأُمَّةِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى الْأُمَمِ الْأُخْرَى، وَبَيَّنَّ مَلَامِحَ هَذِهِ الْوَسْطِيَةِ وَمَجَالَاتِهَا؛ فَهِيَ أُمَّةٌ وَسْطٌ: فِي الْتَصَوُّورِ وَالْإِعْتِقَادِ... وَفِي التَّفَكُّيرِ وَالشُّعُورِ... وَفِي التَّنْظِيمِ وَالتَّنْسِيقِ... وَفِي الْإِرْتِبَاطَاتِ وَالْعِلَاقَاتِ... وَفِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ... (٢).

٢- مفهوم الحضارة في اللغة والاصطلاح:

الحضارة في اللغة: يُقَالُ: الحَضَرَ بِخِلَافِ الْبَدْوِ، وَالْحَاضِرَةُ الْحَيُّ الْعَظِيمُ، وَيُقَالُ: الْحَاضِرُ، وَهُوَ ضِدُّ الْمُسَافِرِ (٣)، وَجَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَعْنَى الشَّهَادَةِ أَوْ الْحُضُورِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَى﴾ (٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٦)، وَشَهِدَ بِمَعْنَى حَضَرَ (٧).

وَيُعَدُّ أَخْذُ الْحَضَارَةِ مِنَ الْحُضُورِ هُوَ الْمَعْنَى الْأَسْبَقُ فِي اللُّغَةِ، وَالْأَلْصَقُ بِمَعْنَى التَّقَدُّمِ الْإِنْسَانِي وَنَحْوِهِ؛ لِأَنَّ الْحُضُورَ مَعْنَاهُ الْمَعَايِنَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ.

أما الحضارة في الاصطلاح: فَعَرَّفَهَا ابْنُ خُلْدُونُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّمَا الْحَضَارَةُ هِيَ تَفَنُّنُ فِي التَّرَفِّ، وَإِحْكَامُ الصَّنَائِعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وَجْهِهِ (أَيِ التَّرَفِّ) مِنَ الْمَطَابِخِ وَالْمَلَابِسِ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنَ الْآيَةِ (١٤٣).

(٢) فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ لِسَيِّدِ قُطُبٍ: ١٣٠/١-١٣٢.

(٣) انْظُرْ: لِسَانَ الْعَرَبِ لِابْنِ مَنْظُورٍ، مَادَّةُ [حَضَرَ]: ٩٠٦-٩٠٧، وَمَخْتَارُ الصَّاحِحِ: ص ٦٠.

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنَ الْآيَةِ (١٨٠).

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ: مِنَ الْآيَةِ (٨).

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: مِنَ الْآيَةِ (١٨٥).

(٧) انْظُرْ: الْحَضَارَةُ - الثَّقَافَةُ - الْمَدْنِيَّةُ .. دَرَسَةُ لِسِيرَةِ الْمَصْطَلَحِ وَدَلَالَةِ الْمَفْهُومِ لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ عَارِفٍ: ص ٥٧.

والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله؛ فلكل واحد منها صنائع في استجابته، والتأنق فيه تختص به، ويثلو بعضها بعضاً؛ وتتكرر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتتعم بأحوال الترف؛ وما تتلون به من العوائد، فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعية الترفه الملك^(١).

وقال الدكتور حسين مؤنس: "الحضارة في مفهومنا العام -هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان؛ لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية"^(٢).

وعرّفها المفكر مالك بن نبي بأنها "جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"^(٣).

٣- مفهوم الآخر في اللغة والاصطلاح:

الآخر في اللغة (بفتح الخاء): هو أحد الشئيين، وهو بمعنى "غير" (^(٤))، أما الآخر في الاصطلاح: يُقصد به في هذه الدراسة الآخر الديني، وهو غير المسلم، ويشمل أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالأخص، وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى.

(١) مقدمة ابن خلدون: ٥٤٨/٢.

(٢) الحضارة .. دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها: ص ١٣.

(٣) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: ص ٤٢.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة [آخر]: ٣٨/١.

المبحث الثاني

الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية

توجد كثير من نصوص السنة النبوية المشككة التي تحتاج إلى فهم في ضوء الوسطية الإسلامية التي امتازت بها الشريعة الإسلامية، وهذا الفهم الوسطي هو القادر على الإسهام في التفاعل الحضاري في ظل العولمة.

وسنعرض لبعض نصوص السنة النبوية المشككة في تعامل المسلمين مع الآخر في محاولة لفهم هذه النصوص في ضوء وسطية الإسلام العظيم، ومن هذه النصوص: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله"، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تبتدعوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق، فاضطروهم إلى أضيقة"، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، وحديث: "لا ربا بين المسلم والحربي"، فيما يأتي:

المطلب الأول

الوسطية في فهم حديث: "من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله"

أ- نص الحديث:

عن سمرة بن جندب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله" (١).

ب- درجة صحة الحديث:

الحديث من حيث الصحة فيه اضطراب، فقد جاء في نيل الأوطار: "قال الذهبي حديث سمرة: "إسناده مظلم لا تقوم به حجة" (٢)، أما الشيخ الألباني فصحه

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، حديث رقم (٢٧٨٧)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، عن سمرة بن جندب، حديث رقم (٧٠٢٣)، ج ٧، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) انظر: نيل الأوطار للشوكاني: ٨ / ٢٥.

مرة، وضعفه مرة، فقال في صحيح سنن أبي داود: حديث صحيح، وقال في الإرواء: "سنده ضعيف" (١).

ج- الوسطية في فهم الحديث:

من الإشكالات التي دارت حول حديث: "من جامع المشرك، وسكن معه، فإنه مثله" أن البعض فهم منه حرمة مساكنة غير المسلمين؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون مثلهم في الشرك.

ولكني نفهم هذا الحديث في ضوء الوسطية الإسلامية لا بد من الرجوع إلى أقوال العلماء في معناه: فقال شمس الحق العظيم آبادي: والمعنى من اجتمع مع المشرك ووافقته ورافقه، ومشى معه، فهو مثله؛ أي: من بعض الوجوه؛ لأن الإقبال على عدو الله وموالاته، توجب إعراضه عن الله، ومن أعرض عنه، تولاه الشيطان، ونقله إلى الكفر، وقيل: معناه نكح الشخص المشرك، يعني: إذا أسلم، فتأخرت عنه زوجته المشركة حتى بانث منه، فحذر من وطنه إياها (٢).

إذ يرى بعض العلماء أن الاختلاط بأهل الشرك ربما يؤدي إليه، فيستحب عدم الاختلاط بهم، وعدم مساكنتهم، ولا شك أن مساكنة غير المسلمين ليس ضرورياً في أن يؤدي إلى فساد العقيدة، بل هو وسيلة للدعوة، ووسيلة لتصحيح صورة الإسلام، وخاصة في المجتمعات غير المسلمة، والتي يكون فيها المسلمون أقلية، كما هو في بلاد الغرب.

كذلك فإن الحديث لا يؤخذ على إطلاقه، بل هو محمول على من أقام مع المشركين، وسكن معهم راضياً عنهم غير مبغض لكفرهم، ولم يكن قادراً على إظهار دينه.

(١) انظر: صحيح سنن أبي داود: ١٨٢/٢، وإرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: ٣٢/٥.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٤٧٧/٧-٤٧٨، وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ١١١/٦-١١٢.

كما أن المساكنة هنا لا يقصد بها مجرد التجاور، بل المساكنة هنا كأنها بمعنى السكن القلبي والنفسي، والمتابعة أو المشاكلة، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾^(١).

لكن ماذا عن المسلم الذي يستطيع إظهار دينه، وتميزه عن غيره من المخالفين مشركين أو أهل كتاب، وإعلان عدم رضاه على منكر لهم؟ فما المانع من البقاء على أرض يجد فيها الإنسان حريته، وينشر دعوته؟^(٢).

كما ورد في الحديث مصطلح المشرك، ولكي نفهم معناه لا بد أن نفهمه في ضوء القرآن الكريم، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣)، فكان أكثر الفقهاء يحملونه على الكافرين جميعاً، وقيل: هم ما عدا أهل الكتاب لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٤)، فأفرد المشركين عن اليهود والنصارى، كما أن "اتباع الأنبياء - عليهم السلام - هم المسلمون واليهود والنصارى، وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصابئون، وأما أتباع المنتبئ فهم المجوس، وأما المنكرون للأنبياء على الإطلاق فهم عبدة الأصنام والأوثان، وهم المسمون بالمشركين"^(٥).

(١) سورة النساء: من الآية (١٤٠).

(٢) انظر: فقه السياسة الشرعية للأقليات المسلمة لفلة زردومي: ص ١٧٥.

(٣) سورة التوبة: من الآية (٥).

(٤) سورة الحج: الآية (١٧).

(٥) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ١٩/٢٣.

وعلى ذلك فكلمة المشرك في المصطلح القرآني تعني الوثني، ولا يدخل فيها الكتابي، وكيف يحرم الإسلام مساكنة الكتابي، وهو يجيز للمسلم أن يتزوج كتابية، تكون ربة بيته؟! (١).

ولا شك أن الوسطية في فهم هذا الحديث يسهم في التفاعل الحضاري بين المسلمين وغيرهم، وخاصة من أهل الكتاب، ويعظم قيم التسامح والمواطنة في المجتمعات التي يقطن فيها المسلمون وغيرهم من أهل الكتاب، سواء أكان المسلمون أغلبية أم أقلية.

المطلب الثاني

الوسطية في فهم حديث: "لا تبدعوا اليهود والنصارى بالسلام"

أ- نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تبدعوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق، فاضطروهم إلى أضيقه" (٢).

ب- درجة صحة الحديث:

هذا الحديث صحيح، فهو وارد في صحيح مسلم، والذي يُعدُّ ثاني كتب الحديث من حيث الصحة بعد صحيح البخاري، كما قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح (٣)، وكذلك قال الشيخ الألباني: حديث صحيح (٤).

(١) في فقه الأقليات المسلمة للدكتور يوسف القرضاوي: ص ٣٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، حديث رقم (٢١٦٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الاستئذان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ما جاء في التسليم على أهل النمة، حديث رقم (٢٧٠٠).

(٣) سنن الترمذي: ٦٠/٥.

(٤) صحيح سنن الترمذي: ٧٩/٣ - ٨٠.

ج- الوسطية في فهم الحديث:

يَعُدُّ حديث: "لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام" من الأحاديث المُشكَّلة، فقد يَفْهَمُ البعض منه تحريم ابتداء المسلم لليهودي والنصراني بالسلام، كما قد يُفهم التضييق عليه في الطريق، لإذلاله وإيذاته.

ولكي نفهم هذا الحديث في ضوئه وسطية الإسلام، لا بد من فهمه من خلال القرآن الكريم، وكذلك من خلال جمع الأحاديث في هذا الموضوع، وفي ضوئه معرفة أسباب ورود الحديث، وملابساته، ومقاصده.

فهذا الحديث وإن كان صحيحاً، فهو يخالف بعض المبادئ التي وضعها القرآن، من ذلك مبدأ: "البر والقسط"، ومبدأ: "حسن المعاملة"؛ لذلك يجب تأويله لمعارضته لآية: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١)، وآية: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢)، ولعموم قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (٣).

كما أنه مُعارض لأحاديث إفشاء السلام، ومن ذلك: أن رجلاً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرئ السلام، على من عرفت، ومن لم تعرف" (٤).

(١) سورة الممتحنة: الآية (٨).

(٢) سورة البقرة: من الآية (٨٣).

(٣) سورة النساء: من الآية (٨٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، حديث رقم (١٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاصيل الإسلام، حديث رقم (٣٩).

وروي عن أبي أمامة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-
:"إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"،^(١) وقال عمار: "ثلاث من جمعهن فقد
جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من
الإقتار"^(٢).

وكذلك فإن معرفة سبب ورود الحديث يساعد على فهمه، فقد ورد أن
النهي كان بسبب أن اليهود كانوا إذا سلّموا علي المسلمين، يقول أحدهم: السّامُ
عليكم، أي: الموت واللعنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم- للمسلمين:
اقولوا: وعليكم"^(٣)، وقد اتفق العلماء على أنه يُردّ على أهل الكتاب، ولكنه
يقتصر على قوله: وعليكم"^(٤)، فإذا آمن المسلمون من هذا القول، فلا بأس أن
نبدأهم بالسلام، أو نرد عليهم السلام، امتثالاً لما ورد في القرآن الكريم من
آيات البر والقسط، وحسن المعاملة.

كما أن حديث "لا تبدعوهم بالسلام، واضطروهم إلى أضيق الطريق" مقيد بأيام
الصراع والحروب، لا بأيام الاستقرار والسلام، وقد أكّد الدكتور يوسف القرضاوي
ذلك بقوله: "يجب تأويل هذا الحديث بأنه خاص بأهل الحرب المعادين للمسلمين، وليس
في شأن المسالمين"^(٥).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الألب، باب في فضل من بدأ بالسلام، حديث رقم (٥١٩٧)،
قال الشيخ الألباني: حديث صحيح .[صحيح سنن أبي داود: ٣/٢٧٥].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إقضاء السلام من الإسلام.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبي قبول
الفرائض، وما نسبوا إلى الردة، حديث رقم (٦٩٢٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب
النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يُردّ عليهم، حديث رقم (٢١٦٤).

(٤) انظر: سبل السلام للصنعاني: ٤/٢٦٣-٢٦٥.

(٥) في فقه الأقليات المسلمة: ص٣٩.

كما أنه ليس من المعقول أن يبيح الإسلام للمسلم الزواج بالمسيحية، ولا يبيح له أن يسلم عليها؟! وهل يمنع الولد أن يسلم على أمه، أو على خاله، أو خالته أو جده أو جدته؟ وقد أمره الله بصلة الرحم، ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (١).

وأشار الأستاذ فهمي هويدي إلى أن الحديث ينبغي أن يفهم في ضوء الخصوصية المؤقتة التي ارتأتها السياسة الإسلامية في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ أي: إنه إجراء استثنائي، في ظروف استثنائية، وأنه ليس مقرراً لقاعدة عامة (٢).

وهذا الفهم يسهم في تقبل الآخر، ويؤدي إلى التفاعل الحضاري، فالمسلم وغير المسلم يشتركان في بناء الحضارة الإنسانية، وفي ذلك خير للعالم أجمع.

المطلب الثالث

الوسطية في فهم حديث: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"

أ- نص الحديث:

عن أبي سعيد الخدري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي" (٣).

(١) سورة النحل: من الآية (٩٠).

(٢) انظر: مواطنون لا ذميون: ص ١٧٧-١٨٨، ونحو فقه جديد للأقليات للدكتور جمال الدين عطية: ص ٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم (٨٤٣٢)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، حديث رقم (٢٣٩٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، حديث رقم (٥٥٤).

ب- درجة صحة الحديث:

لقد حسن العلماء حديث: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، فقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن، إنما نعرفه من هذا الوجه^(١)، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن^(٢)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن^(٣).

ج- الوسطية في فهم الحديث:

إن حديث: "لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي"، قد يفهم البعض منه انعزال المسلمين عن غير المسلمين، وعدم الاختلاط بهم، وعدم دعوتهم إلى الطعام، ولا شك أن هذا يؤدي إلى التقوقع، وضعف أثر المسلمين في المجتمعات التي يعيشون بها، ويؤدي إلى انحصار دعوة الإسلام، وعدم المشاركة في بناء الحضارة، ولكي نحسن فهم هذا الحديث في ضوء وسطية الإسلام، لا بد من جمع الأحاديث الواردة في نفس الموضوع، ومعرفة مقاصده، وملابساته.

فهذا الحديث ظاهره يتعارض مع الحديث الذي يدعو المسلمين إلى التعايش والمخالطة مهما أدى ذلك إلى بعض الإيذاء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم"^(٤).

وللتوفيق بين هذين الحديثين، نقول: إن المصاحبة التي تؤدي إلى مضرة في الدين، فهي منهي عنها، فالأولى للمؤمن أن يصاحب المؤمنين؛ لأن

(١) انظر: سنن الترمذي: ٦٠٠-٦٠١.

(٢) انظر: صحيح سنن الترمذي: ٥٦٣-٥٦٤، وصحيح سنن أبي داود: ١٨٧/٣.

(٣) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٣١٤/٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر، حديث رقم (٥٠٢٢)، ج ٩، ص ٦٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين.

صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبًا، وقال الشافعي : ليس أحد إلا له محب ومبغض، فإنن لا بد من ذلك، فليكن المرجع إلى أهل طاعة الله، ومن ثم قيل: ولا يصحب الإنسان إلا نظيره^(١).

أما المخالطة بين المسلمين وغير المسلمين، فهي مطلوبة في إطار ضوابط الحفاظ على الدين، والإسهام في بناء الحضارة، وكذلك فالمؤاكلة التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم - في قوله: "ولا يأكل طعامك إلا تقي" يقصد بها المؤاكلة التي توجب الألفة والاستئناس، وتغمر الإنسان، وتخل بالدين، وتذهب المروءة، وتوقع في الشبهات، أما إطعام الطعام لغير المسلمين دون ألفة، وإضرار بالدين، فلا ضير فيها، فقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(٢) ومعلوم أن أسراهم غير مؤمنين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم - يطعم المشركين، ويصنع الطعام إلى البر، والفاقر، ويأمر به^(٣).

هكذا فإن المسلمين مطالبين بالتعايش والمخالطة مع غير المسلمين، للإسهام في التفاعل الحضاري، ولكن في إطار الحفاظ على الدين، والحفاظ على الهوية الإسلامية.

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي: ٤٠٤/٦-٤٠٥.

(٢) سورة الإنسان: الآية (٨).

(٣) انظر: تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي للمباركفوري: ٧٦/٧، وشرح السنة للبغوي:

المطلب الرابع

الوسطية في فهم حديث: "لا ربا بين المسلم والحربي"

أ- نص الحديث:

روي عن مكحول عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لا ربا بين أهل الحرب، وأهل الإسلام"^(١).

ب- درجة صحة الحديث:

إن حديث: "لا ربا بين أهل الحرب، وأهل الإسلام" ضعيف، فهو مرسل عن مكحول، وقال الشافعي: وهذا ليس بثابت، ولا حجة فيه، وذكره الزيلعي بلفظ: "لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب"، وقال: حديث غريب^(٢)، وقال الألباني: حديث منكر^(٣).

ج- الوسطية في فهم الحديث:

يُعدُّ حديث: "لا ربا بين المسلم والحربي" من الأحاديث المُشكَّلة، فقد يفهم البعض منه إباحة الربا بين المسلم وغير المسلم، وبهذا الحديث استدل أبو حنيفة وتلميذه محمد بن الحسن: أنه لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب؛ لأن أموالهم في دارهم على أصل الحل، فبأي طريق أخذها المسلم، فقد أخذ مالا مباحا ما لم يتضمن ذلك غدرا بهم أو خيانة لهم، فلو دخل المسلم إلى دار الحرب، فباع لهم درهما

(١) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، كتاب السير، باب بيع الدرهم بالدرهمين في أرض الحرب، حديث رقم (١٨١٦٩)، ج١٣، ص٢٧٦، وأخرجه ابن المنذر في الأوسط، كتاب قسم أربعة أخماس الغنيمة، باب اختلاف أهل العلم في بيع الدرهم بالدرهمين من أهل الحرب، حديث رقم (١٩٠٣)، ج١١، ص٢٣٦.

(٢) انظر: الأم: ٢٤٩/٩، ونصب الراية تخريج أحاديث الهداية: ٤٤/٤.

(٣) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٨-٧٩/١٤.

بدرهمين، فلا حرج عليه في ذلك؛ لأن أحكام المسلمين لا تجري عليهم، فبأي وجه أخذ أموالهم برضا منهم، فهو جائز^(١).

ولكي نفهم هذا الحديث في ضوء وسطية الإسلام، لا بد من فهم الحديث من خلال القرآن الكريم، ومن خلال جمع الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، وفي ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية.

فهذا الحديث ضعيف لا يحتج به، وإذا سلمنا بصحته، فإنه يتعارض مع نصوص القرآن الكريم الدالة على تحريم الربا، ومن هذه النصوص: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ^٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا^٣ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا^٤﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^٥﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ^٦ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ^٧﴾.

كذلك السنة النبوية زاخرة بكثير من الأحاديث الدالة على تحريم الربا، منها: ما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس

(١) انظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي: ٤/٤٧٢، وشرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي: ٣٧/٧.

(٢) سورة البقرة: من الآية (٢٧٥).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٧٨).

(٤) سورة الروم: الآية (٣٩).

التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" (١).

وجاء عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه قال: "لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء" (٢).

وكل هذه النصوص تفيد تحريم الربا على سبيل العموم من غير فرق؛ سواء أكان بين المسلمين بعضهم بعضاً، أم بين المسلمين والآخرين غير المسلمين.

كذلك فإن هذا الحديث قد ورد فيه لفظ أهل الحرب، ولا شك أن المسلمين الذين يعيشون في المجتمعات الغربية، وينعمون بحرية العبادة والدعوة، لا يُعدّون في دار الحرب، بل هم في دار الدعوة، وكذلك غير المسلمين الذين يعيشون في أرض الإسلام يتمتعون بحقوق أهل الذمة وحقوق المواطنة، كما أن الأخذ بهذا الحديث الضعيف يصور المسلمين كأناس مستغلين، ويشوه صورة الإسلام، ويفتح الباب للمسلمين للتعامل بالربا، وهو ما نهى عنه الإسلام.

هكذا فإن فهم هذه النصوص الواردة في السنة النبوية في ضوء الوسطية يسهم في تقبل الآخر، ويؤدي إلى تكاتف جهود المسلمين وغيرهم في الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية، وبالتالي يؤدي إلى إسعاد البشرية، وإبراز خيرية الأمة الإسلامية.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: الآية

(١٠)]، حديث رقم (٢٧٦٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها،

حديث رقم (٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الربا، حديث رقم (١٥٨٩).

المبحث الثاني

صور من التفاعل الحضاري مع الآخر

إن الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية يسهم في التفاعل الحضاري مع الآخر، فالعقيدة لها دور مبرز في تشكيل الأفكار الإيجابية للتعاون مع الآخر في بناء الحضارة، وقد عبّر المفكر مالك بن نبي عن أثر الدين في دورة الحضارة بقوله: "فالحضارة لا تتبع إلا بالعقيدة الدينية، وينبغي أن نبحت في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها، فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس سرعةً ومنهاجاً، أو هي -على الأقل- تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي بالمعنى العام" (١).

كما أشار الطاهر ابن عاشور إلى ذلك بقوله: "فالحقيقة الاعتقادية الإلهية، حينئذ هي الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية" (٢).

ويُعَدُّ التفاعل الحضاري ظاهرة صحية، ومبعث فخار للأمة الإسلامية، ولكن من الضروري "لفت الأنظار إلى أهمية التمييز بين "التفاعل الحضاري" و"الاستفادة" التي ينهض بها "السليم الراشد" وبين "التقليد والتبعية"، اللذين يفرضهما الغالب على المغلوب.. فالأولى تزيد السليم سلامةً، والراشد رشدًا، أما الأخرى فهي مسخ للشخصية الحضارية المتميزة" (٣).

وجديرٌ بالذكر أن الإسلام يتفرد بقبول الآخر، ويعترف بكل الشرائع والملل، وجميع النبوات والرسالات، بل يُعَدُّ ذلك من شروط الإيمان فقال تعالى: ﴿ ءَاْمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ

(١) شروط النهضة لمالك بن نبي: ص ٥٠-٥١.

(٢) روح الحضارة الإسلامية: ص ٧٣.

(٣) الطريق إلى اليقظة الإسلامية للدكتور محمد عمارة: ص ٢٤٧.

وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ^١ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^٢
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ^(١)، وهذا يسهم في تقبل الآخر، والتعاون معه
 في بناء الحضارة الإنسانية.

وأشار المستعرب الصيني "لي قوان فيبين" إلى عظمة الإسلام والحضارة
 الإسلامية في القدرة على التعاون مع الآخر في التفاعل الحضاري بقوله: "فالحضارة
 الإسلامية تحمل عوامل البقاء؛ لأنها عصية على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية
 في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو
 مفيد من الآخر وتصحّره في نفسها؛ ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية
 المعاصرة، كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة،
 إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح"^(٢).

وسنذكر نماذج من صور التفاعل الحضاري بين المسلمين والآخرين غير
 المسلمين، وثماره في بناء الحضارة العربية والإسلامية، والحضارة الإنسانية، فيما
 يأتي:

المطلب الأول

إسهامات غير المسلمين في الحضارة العربية والإسلامية

إن الحضارة العربية والإسلامية ليست نتاج جنس أو شعب معين، وإنما
 هي نتاج أجناس وشعوب مختلفة الأعراق واللغات والأديان، انصهرت جميعاً
 في بوتقة واحدة في ظل الحكم الإسلامي الذي استوعب الجميع تحت مظلته،
 وأدى هذا إلى بروز إسهامات واضحة للآخر غير المسلم بجانب إبداعات
 المسلمين.

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) انظر: شهادات استشراقية أنصفت الحضارة الإسلامية للدكتور عماد عوجة: ص ٥٣.

فقول المسترقة الألمانية "زيغريد هونكه" في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": "إن هذا الكتاب يتناول العرب والحضارة العربية، ولا أقول الحضارة الإسلامية؛ ذلك أن كثير من المسيحيين واليهود والمزديين والصابئة قد حملوا هم مشاعلها أيضاً" (١).

ويقول "السر مارك سايس" في وصف الإمبراطورية في عهد الرشيد: "وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء يعملون في خدمة الحكومة" (٢).

وأشار المستشرق "ليفى بروفنسال" إلى دور أهل الذمة في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس فقال: "هذه الحضارة التي أسهم فيها أهل الذمة، وكانوا من أبطالها أحياناً" (٣).

وعبّر المستشرق "آدم متز" عن ذلك بقوله: "ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية؛ فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام" (٤).

ومن أمثلة إسهامات غير المسلمين في الحضارة العربية والإسلامية: في مجال الطب كان الأطباء المسيحيون في العهدين الأموي والعباسي محل الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطب في بغداد ودمشق زمناً طويلاً، كان ابن أثال الطبيب النصراني طبيب معاوية الخاضع، وكان سرجون كاتبه، وقد عين مروان أثناسيوس مع آخر اسمه إسحاق في بعض مناصب الحكومة في مصر، ثم بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الدولة.

ومن أشهر الأطباء الذين كانت لهم الخطوة عند الخلفاء جرجيس بن بختيوشع، وكان مقرباً من الخليفة المنصور، واسع الخطوة عنده، وكان سلمويه بن بنان النصراني

(١) شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه: ص ١٣.

(٢) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي: ص ٧١.

(٣) حضارة العرب في الأندلس للمستشرق ليفى بروفنسال: ص ١٠٢.

(٤) انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز: ١/ ١٠٥.

طبيب المعتصم، ولما مات جزع عليه المعتصم جزعاً شديداً، وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة ديانته^(١).

وفي مجال الأدب والشعر: كانت الخطوة للشعراء والأدباء لدى الخلفاء والأمراء، بقطع النظر عن أديانهم ومذاهبهم، وكلنا يعلم مكانة الأخطل في العهد الأموي، وقد كان يدخل على عبد الملك دون إذن وهو مرتد عباءة من الحرير عليها تعويذة، وقد تدلى من عنقه صليب ذهبي مشدود إلى سلسلة ذهبية^(٢).

وفي مجال الإدارة والحكم: تولى غير المسلمين بعض المناصب الإدارية، حيث تولى ابن منصور نصر بن هارون، وكان نصرانياً منصب الوزارة في عهد عضد الدولة، كما تولى عيسى بن نسطورس منصب الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله^(٣).

ومن أشهر العلماء غير المسلمين الذين أسهموا في بناء الحضارة العربية والإسلامية: الفلكي الشهير البتاني الذي اشتهر بالأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة، وكان أوجد عصره في فنه، وقد قيل: إنه أول من اخترع قلم الحبر، وآلة النفخ في النار التي كانت مقدمة لفكرة الإنسان الآلي، وقد بلغت شهرته الآفاق، وقد مدحه الأستاذ "لابلاند" الفلكي الفرنسي المشهور في القرن الثامن عشر فقال: "إن البتاني واحد من عشرين رياضياً ظهروا في العالم القديم، والعالم الحديث"^(٤).

(١) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي: ص ٦٧-٦٨.

(٢) انظر: المرجع نفسه: ص ٦٨.

(٣) انظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لأدم متر: ١/١٧٩-١٨٠.

(٤) انظر: أثر العرب في الحضارة الأوروبية للعقاد: ص ٥٢، و أثر العرب المسلمين في الحضارة الأوروبية للدكتور فتحي علي يونس: ص ٣٠.

وكذلك يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق الذي كان ماهراً في مجال الهندسة، مهتماً بكتب إقليدس وغيرها من كتب الهندسة، ونقل كثيراً من الكتب من اليونانية للعربية، بالإضافة إلى شروحه ومصنفاته^(١).

ولا عجب في مشاركة غير المسلمين في بناء الحضارة العربية والإسلامية، فالإسلام دين الوسطية، والتسامح مع الآخر.

المطلب الثاني

إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية

إن العلماء المسلمين قاموا بدورهم في بناء الحضارة الإنسانية، وقدموا لأوروبا زاد نهضتها، وهذا بفضل الوسطية في فهم النصوص في الإسلام، فقد تقبل المسلمون الآخر، حتى نرى أوروبا قد أقبلت على علماء الإسلام، وتجلس في مقعد التلميذ في مجالات الإسلام ومدارسه، وتتعلم اللغة العربية وتعب من معين الثقافة، وقد بهرها ما بلغته الحياة الإسلامية من تقدم وازدهار.

وقد عبّرت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" عن إعجابها بالحضارة العربية الإسلامية في كتابها الشهير "شمس العرب تسطع على الغرب"، إذ أرادت من خلاله أن تقدم للعرب الشكر على فضلهم الذي حرّمهم من سماعه طويلاً تعصب أعى، أو جهل أحمق، وذكرت أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب أثر بقوة على مجرى الأحداث الإنسانية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير^(٢).

ومن أشهر علماء الإسلام الذين أسهموا في بناء الحضارة الإنسانية:

١- أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا صاحب كتاب "القانون في الطب" وقد طبع هذا الكتاب في روما عام ١٥٩٣م، وأُخذَ هذا الأثر الطبي الشهير أساساً للدراسات الطبية في جامعات فرنسا وإيطاليا، خلال ستة قرون.

(١) انظر: أعلام المهندسين في الإسلام لأحمد تيمور باشا: ص ٢٢-٢٣.

(٢) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه: ص ٩-١٤.

وعبّرت المستشرقة الألمانية "ريغريد هونكه" عن دور ابن سينا في تقدم علم الطب فقالت: "لقد وفق ابن سينا في إلقاء الظل على شهرة جالينوس والإغريق، وما العربي الثاني الذي يظل بعينه الثاقبتين في القاعة الكبيرة في مدرسة الطب في باريس إلا ابن سينا، أعظم معلمي الغرب خلال سبع مئة سنة" (١).

٢- جابر بن حيان الذي يُعدّ من أشهر علماء العرب والمسلمين الذين برعوا في الكيمياء، ويُعدّ المؤسس لهذا العلم، الملقب بالشيخ الرئيس الذي ميز بين الالتهاب الرئوي والالتهاب السحائي، وفرّق بين المغص المعوي والمغص الكلوي، وأول من اكتشف الطفيليات الموجودة في الإنسان المسماة بالإنكلستوما، وأول من أوصى بتغليف الحبوب التي يتعاطاها المريض (٢).

وعبّر "ول ديورانت" عن عظمة علماء الإسلام في الكيمياء فقال: "يكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علما من العلوم، ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة، والتجارب العلمية، والعناية برصد نتائجها في الميدان الذي اقتصر فيه اليونان - على ما نعلم - على الخبرة الصناعية والفروض الغامضة" (٣).

٣- أبو القاسم الزهراوي (الجراح) هو أول من وضع أصول علم الجراحة، حتى ساعدت مؤلفاته الجراحية على وضع حجر الأساس للجراحة في أوروبا، وقد أجرى جراحات ناجحة في شق القصبه الهوائية، وتفتيت الحصاة في المثانة بالشق والتفتيت، واستئصال اللوز، وسبق غيره إلى ربط الشرايين في الجراحات، واخترع منظار المهبل (٤).

(١) المرجع نفسه: ص ٢٩٠.

(٢) انظر: أثر العرب المسلمين في الحضارة الأوربية للدكتور فتحي علي يونس: ص ٢٢-٢٣.

(٣) انظر: قصة الحضارة: ١٣/١٨٧.

(٤) انظر: أثر العرب المسلمين في الحضارة الأوربية للدكتور فتحي علي يونس: ص ١٦.

ومدحه العالم الكبير (هالر) فقال: "إن كتب أبي القاسم الزهراوي الأندلسي كانت المصدر المشترك الذي نهل منه، وانكب عليه جميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر (١)".

٤- الخوارزمي يُعدُّ من أشهر علماء الرياضيات في العالم، وتعبّر المستشرقّة الألمانية "زيغريد هونكه" عن إسهامات الخوارزمي، فتقول: "ولم يقتصر الخوارزمي على تعليم الغرب كتابة الأعداد والحساب، فقد تخطى تلك المرحلة إلى المعقد من مشكلات الرياضيات، وما زالت القاعدة الحسابية (اللوغاريتمس) حتى اليوم تحمل اسمه كعلّم من أعلامها، وعُرف أنصاره في إسبانية وألمانية وإنكلترة، الذين كافحوا كفاحاً مريراً من أجل نشر طريقته الرياضية باسم الخوارزميين، وكان ظفرهم على أنصار الطريقة الحسابية المعروفة باسم (أباكوس) عظيماً، فانتشرت الأرقام العربية التسعة يتقدمها الصفر في كل أنحاء أوربة" (٢).

وكذلك من أشهر علماء الإسلام البيروني التي كانت آراؤه ومروياته في علمي الجغرافية والفلك شائعة بين الأوروبيين، وكذلك الجغرافي الشريف الإدريسي (٣)، وغير هؤلاء العلماء كثير كان لهم دور عظيم في بناء الحضارة الإنسانية.

وهذا الكلام يبعث الفخر، ويشجذ الهمم للإسهام في بناء الحضارة، فالحضارة الإسلامية لم تمت، ولكنها هاجرت وغيّرت مسكنها وملبسها، يقول المفكر مالك بن نبي: "الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر" (٤).

(١) انظر: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية لأحمد علي الملا: ص ١٣٧.

(٢) انظر: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية لهاني المباك، وشوقي أبو خليل:

ص ٩٠-٩٣، وشمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه: ص ٧٥-٧٦.

(٣) انظر: أثر العرب في الحضارة الأوربية للعقاد: ص ٤٤-٤٥.

(٤) شروط النهضة لمالك بن نبي: ص ٤٩.

"ونرجو أن تشرق شمس الحضارة في أفق أمتنا من جديد، خصوصًا وأمتنا الوحيدة التي تمتلك الجانب الروحي الإنساني الذي يتفق مع العلم، ولا يتعارض مع تقدمه، وحضارة الغرب المادية تشكو من فراغها الروحي، ولن تجد ضالتها إلا في حضارة هذه الأمة" (١).

وهكذا فإن الوسطية في فهم النصوص التي تتعلق بالتعامل مع الآخر أسهمت في تقبله، والتعاون معه، فأدى ذلك إلى التكاتف في بناء الحضارة الإنسانية، ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى إبراز عظمة الإسلام ووسطيته في التعامل مع الآخر، فهذا بدوره يحقق قيم المواطنة والتسامح، ويحقق الخير للأمة الإسلامية، والعالم أجمع.

(١) دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية لهاني المباك، وشوقي أبو خليل: ص ١٢٨.

نتائج البحث

بعد التجوال في رحاب موضوع "الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية، وأثرها في التفاعل الحضاري (التعامل مع الآخر أنموذجاً)" توصلت إلى نتائج من أهمها ما يأتي:

١- تُعدُّ الوسطية من أهم خصائص الأمة الإسلامية، في ضوئها يتحقق الفهم السليم لنصوص السنة النبوية.

٢- الإسلام يدعو إلى الاندماج والتعايش السلمي مع الآخر بلا ذوبان، كما يدعو إلى إظهار العزة بلا استعلاء في ظل قيم المواطنة والتسامح.

٣- يرجع الفضل إلى علماء الإسلام في نهضة أوربا، وبالتالي في قيام الحضارة الإنسانية.

٤- أسهم غير المسلمين في بناء الحضارة العربية والإسلامية في ظل الحكم الإسلامي، بفضل وسطية الإسلام، فالإسلام دين التسامح.

٥- الأمة الإسلامية قادرة على إعادة دورها في قيادة العالم، والإسهام في بناء الحضارة الإنسانية، إذا تحققت فهم القرآن الكريم والسنة النبوية في ضوء وسطية الإسلام.

وفي الختام أسأل الله تعالى - أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا، وعلى آله وصحبه، ومن والاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- ١- أثر العرب في الحضارة الأوربية للعقاد، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٧م.
- ٢- أثر العرب المسلمين في الحضارة الأوربية للدكتور فتحي علي يونس، القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٦م.
- ٣- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية لأحمد علي الملا، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، القاهرة: مؤسسة الرسالة، [د.ت.].
- ٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، إشراف: محمد زهير الشاويش، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٦- أعلام المهندسين في الإسلام لأحمد تيمور باشا، نشرته لجنة المؤلفات التيمورية، القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ٧- الأم لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وتخرّيج: د. رفعت فوزي عبد المطلب، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٨- الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف لابن المنذر النيسابوري، تحقيق: د. أبوحامد صغير أحمد بن محمد حنيف، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٩- تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠- تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی للمباركفوري، ضبطه، وراجع أصوله، وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، وعبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، [د.ت.].
- ١١- الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري، قام بشرحه، وتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، واستقصى أطرافه: محمد فؤاد عبد الباقي، نشره وراجع، وقام بإخراجه، وأشرف على طبعه: قصي محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ.

- ١٢- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى بن سورة، تحقيق وتخريج وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ١٣- حضارة العرب في الأندلس للمستشرق ليفي بروفنسال، ترجمة: دوقان قرقوط، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، [د.ت.].
- ١٤- الحضارة .. دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها للدكتور حسين مؤنس، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٨٧م.
- ١٥- الحضارة - الثقافة - المدنية .. دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم لنصر محمد عارف، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٦- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، أعد فهارسه: رفعت البدرأوي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٥، [د.ت.].
- ١٧- الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة: مكتبة وهبة، ط٦، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ١٨- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية لهاني المبارك، وشوقي أبو خليل، دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ١٩- سبيل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني، تعليق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٢٠- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، الرياض: مكتبة المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٢١- سنن أبي داود للسجستاني، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٢٢- السنن الكبرى للبيهقي، وفي ذيله: الجواهر النقي لابن التركماني، ط١، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أبادي الدكن، ١٣٥٢هـ.
- ٢٣- شرح السنّة للبغوي، حققه وعلق عليه، وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

- ٢٤- شرح فتح القدير لابن الهمام الحنفي، علق عليه، وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٥- شروط النهضة لمالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، وعمر كامل مسقاوي، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٦- شمس العرب تسطع على الغرب للمستشرق الألمانية زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، بيروت: دار الجبل، ودار الأفاق الجديدة، ط٨، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٢٧- شهادات استشرافية أنصفت الحضارة الإسلامية للدكتور عماد عوجة، مقال بمجلة حراء، مجلة علمية ثقافية فصلية، العدد التاسع، السنة الثالثة، ديسمبر ٢٠٠٧م.
- ٢٨- صحيح سنن أبي داود للشيخ الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٢٩- صحيح سنن الترمذي للشيخ الألباني، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٣٠- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتنى به وخدمه: أمينة نظر محمد الفاريابي، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٣١- الطريق إلى السقطة الإسلامية للدكتور محمد عمار: القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٣٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قَيم الجوزية، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ط٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- ٣٣- فقه السياسة الشرعية للأقليات المسلمة لفلة نردومي، إشراف: د. صالح بوبشيش، رسالة ماجستير من جامعة العقيد لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٣٤- في ظلال القرآن لسيد قطب، القاهرة: دار الشروق، ط٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٣٥- في فقه الأقليات المسلمة.. حياة المسلمين وسط المجتمعات الأخرى للدكتور يوسف القرضاوي، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- ٣٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م.
- ٣٧- قصة الحضارة لول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، الجزء (١٣)، بيروت: دار الجيل، [د.ت.].
- ٣٨- لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، القاهرة: دار المعارف، [د.ت.].
- ٣٩- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.
- ٤٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٤١- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي لمالك بن نبي، ترجمة: د. بسام بركة، ود. أحمد شعبو، إشراف وتقديم: عمر مسقاوي، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، إعادة ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٤٢- المصباح المنير للفيومي، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
- ٤٣- معالم المنهج الإسلامي للدكتور محمد عمارة، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٩م.
- ٤٤- المعجم الكبير للطبراني، حققه، وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، [د.ت.].
- ٤٥- مفاتيح الغيب للفخر الرازي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٤٦- مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣، [د.ت.].
- ٤٧- من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٩٩٨م-١٤١٨هـ.
- ٤٨- مواطنون لا زمنيون .. موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين للأستاذ فهمي هويدي، القاهرة: دار الشروق، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٤٩- نحو فقه جديد للأقليات للدكتور جمال الدين عطية محمد، القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٥٠- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلعي، مع حاشيته بغية الأكمعي في تخريج الزيلعي، تصحيح: محمد عوامة، جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة المكية، [د.ت.].

٥١- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للشوكاني، بيروت: دار الجبل، [د.ت.].